موقف ناصر الدين الأسد من جهود المستشرقين في الشعر الجاهلي
دراسة وصفيَّة نقدية

م.د شيماء عبد الرحيم صالح

وزارة التربية/المديرية العامة لتربية صلاح الدين/قسم تربية سامراء

Email: Shaymaa.a.s@uosamarra.edu.iq

Nasser al-Din al-Assad's position on the efforts of Orientalists in pre-Islamic poetry A Critical Descriptive Study

By: Inst. Dr. Shaima Abdel Rahim Saleh (Ph.D.)
Ministry of Education/General Directorate of Education, Salah Al-Din

Email: Shaymaa.a.s@uosamarra.edu.iq

الملخص باللغة العربية

فإنّ الحركة الاستشراقية منذ ظهورها في القرن الثامن عشر وحتّى الآن، لم تحظَ بالدِّراسة الكافية على الرغم من كثرة ما نجدهُ في من بحوث، ومجلات متخصّصة بنشر الدراسات الخاصة بالاستشراق الكثيرة التي صدرتْ في أوروبا وأمريكا لم تصلْ إلى أيدي الباحثين، لذلك فقد وجّهتُ عنايتي منذ سنواتٍ بعيدة لدراسة الظاهرة الاستشراقية وكل ما يرتبط بها في عالمنا العربي، وكان عنوان هذه الدراسة: «موقف ناصر الدين الأسد من جهود المستشرقين في الشعر الجاهلي»؛ للوقوف على تجلية هذا الموقف الذي ارتبطَ بالدراسات الاستشراقية والتحقيقات التراثية، وعليه جاءت دراستي في مباحث أربعة: جاء المبحث الأول بعنوان : ناصر الدين الأسد حياته وآثاره، وبحث المبحث الثاني: موقف ناصر الدين الأسد من الدراسات الاستشراقية في الشعر الجاهلي، وتكلَّم المبحث الثَّالث على : موقف ناصر الدين الأسد من تحقيق المستشرقين للشعر الجاهلي، وتناول المبحث الرابع: ناصر الدِّين الأسد بين الذاتيّة والموضوعية، وأمّا منهجه في الدِّراسة، فهو يقومُ على:الاستقصاء التام لمادة الدراسة في المصادر المطبوعة والمخطوطة، والمراجع الحديثة العربية والأجنبية، والوقوف على آراء المستشرقين دقيقها وكبيرها، ونقد الآراء وعدم التسليم لأية فكرة مهما كان مصدرها، ولا سيما آراء المستشرقين، ممّا قد يلبس عليهم فهم الشعر الجاهلي، وفهم النصوص لعدم دربتهم في ميادين اللغة، والبحث دائماً عن أسباب الظواهر، عبْرَ التعليل والتفسير وإرجاع الفروع إلى أصولها مع استشفاف تام للنصوص وفهمها وسبر أغوارها.

الكلمات المفتاحية: موقف، ناصر الدين الأسد، جهود، المستشرقين، الشعر الجاهلي

Abstract

The introduction: The poem "A Message from Cain" by the poet Walid Al-Sarraf consists of a group of compositional units that formed one unit objectively and organically, through the phenomenon of personification, which formed its objective equivalent. In it, Walid Al-Sarraf informs us of the effectiveness of this phenomenon and its sublime impact on the splendor of composition and the accuracy of expression. And the beauty of photography, he created an exciting phenomenon for himself, which is diagnosis.

Research Importance: The research attempts to achieve a critical and rhetorical analytical procedure for texts in a dominant manner, starting from the interrogative method, the connotations of which are embodied through its tools in the verses of the poem in an exciting and dominant manner, which influenced the technique of meaning and procedure.

Research Aims : Identifying the use of the interrogative, and its extent and effectiveness in conveying the poet's intended meanings and connotations, stems from the calamities and woes that befell the poet that actually happened to his city, the city of Mosul. Its rhetorical images are taken from a reality that the city actually experienced, and the poet rephrased it in a poetic style, using the interrogative tools through the poet's style and what I have a passion for photography.

Research Problem: Proving the vitality of Arabic rhetoric, and its ability to build modern and contemporary poetry that belongs to the current moment, and proving the importance of the interrogative style and its tools, including its depiction of those events, so no poet or writer can do without it, no matter how much time has passed with the sciences of rhetoric.

Research Questions: The research question is determined to what extent is it possible to apply rhetorical and critical theory to the verses of the poem?

Research Methodology: The research takes the descriptive approach as a tool in monitoring the phenomenon of diagnosis in the poem by the poet, in the poem by the poet, and then analyzing it and interrogating the results.

Keywords: style, interrogative, poet, teller, Walid, poem, message, Cain

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

ظلَّ الشعر الجاهلي، منذ أن انتقلت أسئلته إلى فضاء الدرس الحديث، واحدًا من أكثر ميادين التراث العربي إثارةً للجدل، وأشدِّها استدعاءً للمقاربات النقدية والمناهج التاريخية واللغوية؛ ذلك أنّه لا يمثل مادةً أدبيةً فحسب، وإنما يتصل اتصالًا وثيقًا بصورة العرب في جاهليتهم، وبمروياتهم، وطرائق تناقل أشعارهم، ومصادر تدوينها، وما يحيط بذلك كله من قضايا الرواية والنحل والانتحال والتحقيق.

سبب اختيار الدراسة:

وقد جاء اختيار هذا الموضوع استجابةً للحاجة إلى الكشف عن طبيعة هذا الموقف، واستجلاء أدواته ومرتكزاته، والوقوف على مدى اتساقه مع المنهج العلمي الذي اتخذه الأسد في دراسة الشعر الجاهلي وتحقيق نصوصه .وقد تبين من خلال تتبع مؤلفاته ومقالاته أن المواقف التي تتصل مباشرةً بالشعر الجاهلي تتركز بصورة أساسية في كتابيه المذكورين، في حين توزعت مواقفه الأخرى من الاستشراق على قضايا التاريخ والحضارة والفكر والسياسة وحوار الأديان؛ ولذلك فقد وجّهتُ عنايتي منذ سنواتٍ بعيدة لدراسة الظاهرة الاستشراقية وكلَّ ما يرتبط بها في عالمنا العربي، وقد تفاجأتُ عند اختياري لموضوع هذه الدراسة، وهي بعنوان: (موقف ناصر الدين الأسد من جهود المستشرقين في الشعر الجاهلي)، بأنّ أحداً من الباحثين لم يتطرّق لرصد ذلك على الرغم من توافر المراجع المعينة، فكتبُ الأسد _ رحمه الله _ ومقالاته متوافرةٌ بين أيدي الباحثين؛ لذلك رأيتُ أنَّه من الجدير الوقوف على تجلية هذا الموقف الذي ارتبطَ بالدراسات الاستشراقية والتحقيقات التراثية.

مشكلة الدراسة:

لعل مما تسجله هذه الدراسة من مشاكل وأسباب تدعوها لسبر اغوار البحث؛ إنّ الحركة الاستشراقية منذ ظهورها في القرن الثامن عشر وحتّى الآن، لم تحظَ بالدِّراسة الكافية على الرغم من كثرة ما نجدهُ في المجلات من بحوث، وثمّة مجلات

متخصِّصة أيضًا بنشر الدراسات الخاصة بالاستشراق، وعلى الرغم من كلِّ ذلك إلّا أنّ منشورات ودراسات استشراقية كثيرة للغاية صدرتْ في أوروبا وأمريكا ولم تصلْ إلى أيدي الباحثين، فضلًا عن أنَّ الفجوة بين عالم النشر في الغرب والشّرق، إذْ تصدرُ حتّى السّاعة كتبٌ وتحقيقاتٌ وفهارس في دور نشر أوروبيّة ولا نسمعُ عنها.

أهمية الدراسة:

وقد أسهم المستشرقون إسهامًا ملحوظًا في إحياء كثير من النصوص العربية ونشرها وتحقيقها ودراستها، فكان لهم فضل السبق في إخراج عدد من الدواوين والمتون إلى حيّز التداول العلمي، غير أنّ هذا الإسهام لم يخلُ من آراء ونتائج أثارت اعتراضات الباحثين العرب؛ لما شاب بعضها من أحكام عامة، أو استنتاجات لم تستند إلى ما يكفي من الشواهد، أو قراءات لم تستوفِ في بعض الأحيان مقتضيات الدرس اللغوي والتاريخي للنص العربي.

ومن هنا تتبدّى أهمية الوقوف عند موقف الباحثين العرب من تلك الجهود، ولا سيما أولئك الذين جمعوا بين معرفة التراث العربي وأدوات البحث الحديث .ويأتي الدكتور ناصر الدين الأسد في طليعة هؤلاء؛ إذ ارتبط اسمه بالشعر الجاهلي ارتباطًا وثيقًا، وانصرف جانب مهم من مشروعه العلمي إلى دراسة مصادره، والكشف عن قيمته التاريخية، وتحقيق نصوصه، ومناقشة ما أُثير حوله من شبهات.

وقد كشفت الدراسة عن حضورٍ واضحٍ لآراء المستشرقين في عدد من مؤلفات الأسد، ولا سيما كتابيه :**القيان والغناء في العصر الجاهلي ومصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، إذ لم يتعامل معها تعاملاً عابرًا، وإنما أخضعها للفحص والمقارنة والتمحيص، وردَّها إلى مصادرها، وقابلها بما توافر من المرويات والنصوص العربية المطبوعة والمخطوطة.

ولم يكن هذا الموقف قائمًا على الرفض المسبق لما يصدر عن المستشرقين، كما لم يكن قائمًا على التسليم بما انتهوا إليه؛ بل اتخذ الأسد من **النقد العلمي معيارًا للقبول والرد**، فجعل قيمة الرأي رهينةً بسلامة الدليل، وقوة الحجة، وموافقته لأصول اللغة والتاريخ والرواية .ومن ثمّ غدا موقفه من الاستشراق موقفًا مركبًا، يجمع بين

الإفادة والنقد، والإنصاف والمراجعة، والاعتراف بالفضل العلمي مع مساءلة النتائج ومناقشة الأسس التي قامت عليها.

هيكلية الدراسة: انتظمت الدراسة في مباحث أربعة:

المبحث الأول: ناصر الدين الأسد حياته وآثاره.

المبحث الثاني: موقف ناصر الدين الأسد من الدراسات الاستشراقية في الشعر الجاهلي.

المبحث الثّالث: موقف ناصر الدين الأسد من تحقيق المستشرقين للشعر الجاهلي.

المبحث الرابع: ناصر الدّين الأسد بين الذاتيّة والموضوعية.

منهج الدراسة:

وقد اقتضت طبيعة الدراسة الإفادة من المنهج الوصفي في رصد المادة وتصنيفها، ومن المنهج النقدي في فحص مواقف الأسد وتقويم آلياته في قبول آراء المستشرقين أو ردّها، مع الإفادة من الموازنة حين يقتضي المقام مقابلة تحقيقاته بالتحقيقات السابقة، أو مقارنة أحكامه بأصولها ومصادرها.

وإذا كان من سمات الأسد التي تتقدم في مؤلفاته جميعًا **انضباط المنهج واستقامة المسار البحثي**، فإن الوقوف على مقدمتي تحقيقه لديوان قيس بن الخطيم وديوان الحادرة يكشف عن منظومة متقاربة من الإجراءات؛ تبدأ باستقصاء النسخ الخطية والطبعات السابقة، ولا تنتهي عند إثبات النص، بل تمتد إلى تحقيق الرواية، وتخريج الأبيات، ومقابلة النصوص، وإثبات الفروق، وشرح ما يستغلق على القارئ من الغريب والأماكن وغيرها.

وهكذا لا يبدو التحقيق عند الأسد نشاطًا تقنيًا محضًا، وإنما يتأسس على رؤية معرفية تجعل النص التراثي موضوعًا للفحص المتدرج، وتربط سلامة النتيجة بسلامة الطريق المؤدي إليها .فهو يستقصي المادة في مصادرها المطبوعة والمخطوطة، ويستعين بالمراجع العربية والأجنبية، ويتتبع آراء المستشرقين، ثم لا يسلّم بها لمجرد ورودها في مصادرها، وإنما يعيد اختبارها في ضوء النصوص العربية ومقتضيات اللغة والتاريخ.

ومن هنا يمكن القول إن القيمة الحقيقية لموقف الأسد من الاستشراق لا تكمن في عدد الآراء التي وافقها أو خالفها، وإنما في **المنهج الذي حكم عملية الموافقة والمخالفة**؛ فقد جعل البحث سابقًا على الحكم، والدليل سابقًا على النتيجة، والنص مرجعًا في اختبار الفرضية، وهو ما يمنح موقفه طابعًا نقديًا يتجاوز الانطباع إلى المحاكمة العلمية.

ولعلّ أكثرَ ما يميّز الدكتور ناصر الدين الأسد _ رحمه الله _ عن غيره من الباحثين، انضباط المنهج في جميع مؤلفاته، فلو وقفتَ على مقدِّمة تحقيقه لديوان قيس بن الخطيم وقارنت ذلك بمقدمته لديوان الحادرة، وجدتَ سمات منهجيّة مشتركة كثيرة، يمكنُ إجمالها بما يأتي:

١. العناية البالغة باستقصاءالنسخ الخطية والطبعات السابقة، والوقوف على ميزاتها.
٢. الموضوعية في التعامل مع الطبعات السابقة، بإبراز ما لها وما عليها، واحترام محقِّقيها، والاعتراف بفضلهم.
٣. العناية بتحقيق رواية الديوان، ومن أي الرواة منبعه.
٤. العناية البالغة بإبراز مسوِّغات ومبررات إعادة النشر،وما القيمة المُضافة التي يقدمها.
٥. تخريج أبيات الديوان من المصادر الأدبية ومقابلتها عليها وإثبات الفروق.
٦. التصدِّي لمطالب تحقيق النص، من شرح الغريب، والتعريف بالأماكن، وغير ذلك ممّا قد يشكل على القارئ.

<u>وأمّا منهجه في الدّراسة، فهو يقومُ على:</u>

١. الاستقصاء التام لمادة الدراسة في المصادر المطبوعة والمخطوطة، والمراجع الحديثة العربية والأجنبية، والوقوف على آراء المستشرقين دقيقها وكبيرها.
٢. نقد الآراء وعدم التسليم لأية فكرة مهما كان مصدرها، ولا سيما آراء المستشرقين، ممّا قد يلبس عليهم فهم الشعر الجاهلي، وفهم النصوص لعدم دربتهم في ميادين اللغة.

٣. البحث دائماً عن أسباب الظواهر، من خلال التعليل والتفسير وإرجاع الفروع إلى أصولها مع استشفاف تام للنصوص وفهمها وسبر أغوارها.

المبحث الأوّل/ ناصر الدّين الأسد حياته وآثاره:

اقترن اسم **ناصر الدين الأسد** في الدراسات العربية الحديثة بالشعر الجاهلي اقترانًا يكاد يجعله واحدًا من أبرز أعلام البحث في هذا الميدان؛ فقد اتجهت عنايته العلمية مبكرًا إلى الأدب الجاهلي، فكانت رسالته للماجستير سنة ١٩٥١م، بعنوان: (القيان والغناء في العصر الجاهلي)، ثم جاءت أطروحته للدكتوراه سنة ١٩٥٥م، بعنوان:(مصادر الشِّعر الجاهلي وقيمتها التّاريخيّة) وهي من أبرز الكتب التي لا يجهلها أحدٌ من دارسي الأدب صغيرهم وكبيرهم، وقد دُرِّسَ وأُقِرّ في الكثير من الجامعات العربيّة[١]، وهو الكتاب الذي غدا من المراجع الأساسية في دراسة مصادر الشعر الجاهلي وقضاياه.

ويُشارك **ناصر الدين الأسد** عنايته في ذِكرُ الأدب الجاهلي في العصر الحديث الكثير من أسماء الأعلام، أمثال: طه حُسين، وشوقي ضيف، ويوسف خليف، ويحيى الجبوري، وعبد العزيز نبوي، إلّا أنّ الدكتور ناصر الدِّين الأسد كان أكثرهم ارتباطاً به.

وناصر الدين الأسد ولم تقف صلته بالتراث الجاهلي عند حدود التأليف النظري، بل امتدت إلى ميدان التحقيق، فأنجز تحقيق **ديوان قيس بن الخطيم** و**ديوان الحادرة**، وهما العملان اللذان أتاحا له أن يختبر بصورة تطبيقية ما قرره من أصول في التعامل مع النصوص التراثية.

وتكشف آثاره العلمية عن شخصية بحثية لم تفصل بين التأليف والتحقيق؛ فالمحقق عنده قارئ ناقد، والباحث لا يستطيع أن يبلغ حكمًا تاريخيًا أو أدبيًا سليمًا ما لم يمتلك نصًا موثوقًا، ولهذا جاء اشتغاله على النصوص متداخلًا مع اشتغاله على مصادرها وروياتها وتاريخ انتقالها.

فلم يكتب **الأسدُ** سيرته الذاتية، إلّا الورقة التعريفيّة التي تجعلها الجامعة الأردنيّة لكلِّ عضوٍ من أعضاء الهيئة التدريسيّة على موقعها من الشبكة العنكبوتية، وقد عرّفَ به تلامذته وعددٌ ممّنْ عرَفه من الباحثين، منهم:

١. فصول أدبية وتاريخية لمجموعة من العلماء والأدباء مهداة إلى الدكتور ناصر الدين الأسد، تحرير: الدكتور حسين عطوان، دار الجيل _ بيروت، ١٩٩٣م.
٢. الشعر الجاهلي ومناهج بحثه بين كتابين، تأليف: الدكتور محمد إبراهيم حور، عمان، ١٩٩٦م.
٣. قطوف دانية مهداة إلى ناصر الدين الأسد (مجلدان)، تحرير: د.عبد القادر الرباعي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر _ بيروت، ١٩٩٧م.
٤. ناصر الدين الأسد سَفَرٌ في المدى: ملامح من حياته، تأليف: مي مظفر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر _ بيروت، ١٩٩٨م.
٥. ناصر الدين الأسد جسرٌ بين العصور، تأليف: مي مظفر، الدار المصرية اللبنانية _ القاهرة، ٢٠٠٠م.
٦. ناصر الدين الأسد بين التراث والمعاصرة، كتاب أعدته مؤسسة شومان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م.
٧. ناصر الدين الأسد ناقداً وشاعراً، تأليف: أحمد المصلح، من منشورات وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠٠٢م.
٨. ناصر الدين الأسد: العالم المفكر والأديب الشاعر، تأليف: أحمد العلاونة، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤م.

مولدهُ وطلبه العلم:

وُلِدَ الدكتور ناصر الدين بن محمد بن أحمد بن جميل الأسد،في مدينة العقبة جنوبي الأردن عام ١٩٢٢م[٢]، وبعد الانتهاء من المرحلة الثّانويّة، توجّه إلى القاهرة في عام ١٩٤٣م، فحصل على الليسانس الممتازة في اللغة العربية عام ١٩٤٧م؛ ولأنَّه كان الأول فقد منح جائزة الدكتور طه حسين لأول الخريجين في قسم اللغة

العربية في جامعة فؤاد الأول(جامعة القاهرة الآن)، ثمّ أكمل دراسته العليا في الجامعة نفسها، وحصل على الماجستير في الآداب عام ١٩٥١م، وعلى الدكتوراه في الآداب بتقدير ممتاز من الجامعة نفسها عام ١٩٥٥م[٣].

أعماله الوظيفية:

أحرز الأسدُ الكثير من المناصب المرموقة بعد حصوله على شهادته الجامعيّة الأولى، فعمل في التدريس في عدد من الدول العربية عَبْرَ السنوات ١٩٤٣-١٩٥٤م[٤].

وبعد حصوله على الدكتوراه، تمّ تعيينه في مناصب ثقافية فعمل في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة للعامين ١٩٥٤-١٩٥٩م، وعمل محاضرًا في معهد البحوث والدِّراسات العربية في القاهرة لطلبة الماجستير عَبْرَ سنة ١٩٥٦م، و١٩٦٠م، و١٩٦٣ و١٩٦٩-١٩٧٠م[٥].

ثمّ انتقلَ **الأسد** إلى ليبيا ليشغل منصب عميد لكلية الآداب والتربية في الجامعة الليبية ببنغازي في الأعوام ١٩٥٩-١٩٦١م.

وفي المملكة الأردنيّة الهاشميّة، تمّ تأسيس الجامعة الأردنية عام ١٩٦٢م، وكانَ الأسدُ واحداً من مؤسِّسيها، وعمل أستاذًا للغة العربية وآدابها فيها، وعميدًا لكلية الآداب، ثم رئيسًا للجامعة في الأعوام ١٩٦٢-١٩٦٨م، وفي الأعوام (١٩٦٨-١٩٧٧م) عمل **الأسد** وكيلاً للإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، والمدير العام المساعد المشرف على الشؤون الثقافية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في القاهرة، وفي العامين (١٩٧٧-١٩٧٨م)، أصبح سفيرًا للمملكة الأردنية الهاشمية بالسعودية، ثمّ عادَ إلى الجامعة الأردنيّة في العامين (١٩٧٨-١٩٨٠م)؛ ليكون رئيسًا عليها للمرة الثانية، وأستاذَ الأدب العربي فيها، وفي الأعوام (١٩٨٥ _ ١٩٨٩م)، أصبح **الأسد** وزيرًا للتعليم العالي في الأردن، وبقي أستاذ شرف في الجامعة الأردنية حتّى وفاته سنة ٢٠١٥م [٦].

عضوية المجامع والمجالس العلمية:

ومن الجدير بالذكر أنّ **الأســد** وعضــوًا لعدد من مجامع اللغة العربية، فاختير عضـوًا مراسـلًا بمجمع اللغة العربية بدمشـق عام١٩٦٩م، وعضـوًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٧٣م، وعضوًا مراسلاً بالمجمع العلمي الهندي عام ١٩٧٦م، وعضـوًا في مجمع اللغة العربية الأردني١٩٧٧م، وعضـوًا بأكاديمية المملكة المغربية عام١٩٨٨م، وعضــوًا في المجلس الاسـتشـاري الدولي لمؤسـسـة (الفرقان) للتراث الإســلامي بلندن عام١٩٩١م، وعضــوًا في اللجنة الملكية لجامعة آل البيت للعلوم والآداب عام١٩٩٢، وعضـوًا في اللجنة الملكية لشؤون القدس عام١٩٩٤م، وعضـوًا بمجمع اللغة العربية بالصــين، للتدريس والدراســات عام١٩٩٤م، وعضــوًا بالمجمع العلمي المصري في القاهرة عام١٩٩٦م.

وتولى **د. ناصر الدين الأسد** رئاسة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسـســة آل البيت) في الأعوام (١٩٨٠-٢٠٠٠م)، وعضــوًا في مجلس التعليم العالي في الأردن مرات متعددة(٧).

مقالاته ومؤلفاته:

على الرغم من انشـغال **ناصـر الدين الأسـد** بالكثير من الوظائف الإداريّة، إلّا أنه لم ينقطع يوماً عن طلب العلم والكتابة، فما كتبه من المقالات والبحوث ونشــره في المجلات والمؤتمرات يُناهز المئة مقالة، عملتُ على اسـتقصـائها لأغراض هذا البحث، وإلى الآن لم تُجمعْ في كتاب، ولولا الإطالة لأوردتُها هاهنا، لكنّي سـأقتصـرُ على عناوين مقالاته في الأدب واللغة، أمّا غيرها من المقالات والبحوث الفكريـة، والتاريخية، والسياسية، فهي كثيرةٌ للغاية.

ومن أبرز مقالاته في الأدب:

١. **الأدب ليس فنّاً**، مقالة نُشـرت في مجلة القلم الجديد، عمّان، السـنة الأولى، العدد السادس، شباط، ١٩٥٣م.

٢. **البطولة كما يصوِّرها الأدب الجاهلي**، مؤتمر الأدباء الرابع، الكويت، ١٩٥٨م.

٣. خواطر وملاحظات عن العرب البائدة وشعرها، مجلة العرب، دار اليمامة بالرياض، السنة الحادية والأربعون، نيسان _ أيّار، سنة ٢٠٠٦م.
٤. **شواهد على صحّة الشعر الجاهلي**، مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الدورة ٤٤، في شهر آذار، ١٩٧٨م.
٥. **العُجير السّلولي**، مجلة الدوحة، آذار سنة ١٩٧٦م. ثم جعله فصلاً في كتابه: (تحقيقات في اللغة والأدب)، الصفحات ٢٢٤ _ ٢٣٩.
٦. **عناصر التراث في شعر شوقي**، بحث قُدِّمَ إلى المهرجان الخمسيني لحافظ وشوقي في القاهرة، تشرين أول، عام ١٩٨٢م، ونشر في مجلة فصول، ج١، مج٣، العدد ١٩٨٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٧. **غناء العرب في الجاهلية**: الغناء الحربي، مجلة القلم الجديد، القاهرة، العدد ٥، كانون الثاني، ١٩٥٣م، ص٢١ _ ٢٢.
٨. **ليس في شعر ابن زيدون**، بحث مقدَّم إلى مهرجان الذِّكرى الألفية لميلاد ابن زيدون في الرباط، تشرين أول، سنة ١٩٧٥م، ثم جعله فصلاً في كتابه: (تحقيقات في اللغة والأدب)، الصفحات ١٩٣ _ ٢١١.
٩. **من قضايا الشعر الجاهلي**، أكاديمية المملكة المغربية، باريس، الأحد، ١٩٨٩/١٢/٣م.
١٠. **نشأة الشعر العربي وتطوره في الجاهلية، قضايا وأفكار**، بحثٌ نُشر في كتاب: شكري عيّاد جسور ومقاربات ثقافية، لأحمد الهواري، الصفحات ٤١٣ _ ٤٣٤.

<u>ومن أبرز مقالاته في اللغة:</u>

١. **أعراب وبادية**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٣٦، آذار، ١٩٧٦م.
٢. **الأمِّي والأميون**، فصل من كتابه: (ألفاظ من القرآن الكريم)، ص٩ _ ٤١.
٣. **جُهود بعض المُحدثين في العامّي الفصيح**، بحث قدم إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الدورة ٥٦، ١٩٩٠م.

٤. **حماس وحماســـة**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٣٤، تشـــرين الثاني، ١٩٧٤م.

٥. **العشـــرينات والعشـــرينيّات**، مجمع اللغة العربية الأردني، العدد١، مج١، كانون ثاني، ١٩٧٨م.

٦. **فترة، فصل من كتابه: (ألفاظ من القرآن الكريم)**، ص١٠٩ _ ١٢٠.

٧. **معاجم ومُعجمات**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٢٥، تشـــرين الثاني، ١٩٦٩م.

٨. **النصارى، فصل من كتابه: (ألفاظ من القرآن الكريم)**، ص٤٣ _ ٥٥.

٩. **نوادٍ وأندية**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٢٧، شباط، ١٩٧١م.

١٠. **وِديان وأودية**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٢٩، آذار، ١٩٧٢م.

<u>وأمّا مؤلفاته المنشورة، فهي:</u>

١. **مصـادر الشِّـعر الجاهلي وقيمتها التاريخية:** نشـر في دار المعارف بمصـر، الطبعة الأولى سـنة ١٩٥٦م حتى الخامسـة سـنة ١٩٧٨م، ثمّ في دار الجيل ببيروت، الطبعة السـادسـة ١٩٨٢م، وحتى الثامنة ١٩٨٨م، وما بعدها من طبعات لم ترقمها دار الجيل إلى وفاة صـاحبها سـنة ٢٠٠٨م، ثم في دار الفتح بعمّان، الطبعة التاسعة سنة ٢٠١٠م.

٢. **الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسـطين والأردن**، نشـر في معهد الدراسـات العربية العالمية بالقاهرة سنة ١٩٥٧م.

٣. **القيان والغناء في العصر الجاهلي:** الطبعة الأولى نشرت في دار صادر، ودار بيروت –بيروت ١٩٦٠م، والطبعة الثانية: نشرت في دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م، والطبعة الثالثة: نشرت في دار الجيل، ببيروت سنة ١٩٨٨م.

٤. **الشـعر الحديث في فلسـطين والأردن:** نشـر في معهد الدراسـات العربية العالية بالقاهرة سنة ١٩٦١م.

٥. **خليل بيدس، رائد القصة الحديثة في فلسطين:** نشر معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة سنة ١٩٦٣م.
٦. **محمد روحي الخالدي**، رائد البحث التاريخي في فلسطين: نشر في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة سنة ١٩٧٠م.
٧. **جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى** _ لابن حزم (تحقيق بالاشتراك مع الدكتور إحسان عباس)، طبع في دار المعارف بمصر، سنة ١٩٥٥م.
٨. **تاريخ نجد، تأليف:** حسين بن غنام، (تحرير وتحقيق): مطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٩٦١م، والطبعة الثانية: دار الشروق، سنة ١٩٨٥م.
٩. **ديوان قيس بن الخطيم**، الطبعة الأولى: مكتبة دار العروبة بالقاهرة سنة ١٩٦٢م، الطبعة الثانية: مكتبة دار صادر، ببيروت، سنة ١٩٦٧م.
١٠. **ديوان شعر الحادرة**، ضمن مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، المجلد الخامس عشر سنة ١٩٦٩م. ثم نشر مستقلاً: في دار صادر ببيروت سنة ١٩٧٣م.
١١. **مصحف الشروق المفسَّر الميسَّر**، تحرير وتحقيق، دار الشروق، القاهرة، سنة ١٩٧٧م.
١٢. **يقظة العرب**، تأليف: جورج أنطونيوس، (ترجمة من الإنجليزية بالاشتراك مع الدكتور إحسان عباس) نشر: دار العلم للملايين _ بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٢م.
١٣. **ليبيا الحديثة**، تأليف: مجيد خدوري، ترجمة من الإنجليزية: الدكتور نقولا زيادة، (مراجعة الترجمة)، نشر دار الثقافة، ببيروت، سنة ١٩٦٦م.
١٤. **نحن والآخر، صراع وحوار**، ١٩٩٧م.
١٥. **نحن والعصر، مفاهيم ومصطلحات إسلامية**، ١٩٩٨م.
١٦. **نشأة الشعر الجاهلي وتطوره (دراسة في المنهج: محاولة أولى)**، نشر في المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت سنة ١٩٩٩م.

١٧.**الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن حتى سنة ١٩٥٠م**، نشر في المؤسسة العربية للدراسات والنشر، في بيروت، ومؤسسة عبد الحميد شومان، في عمان، سنة ٢٠٠٠م.

وفاته:

ودَّع **الدكتور ناصر الدِّين الأسد** الدنيا والتحق بجاور _رحمة الله_ في عمّان في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من أيّار سنة ٢٠١٥م، الموافق السابع عشر من شعبان سنة ١٤٤٠هـ، رحمه الله تعالى، وكان لفترةٍ قصيرة من وفاته ما زال يُدرِّس طلبة الدكتوراه في الجامعة الأردنية، سليم العقل والحواس، فطناً متنبِّهاً إلى كل ما يدور في مجلسه، نسأل الله عزّ وجلّ أن يغفر له ويرحمه ويُدخله الجنة مع العلماء والأخيار.

المبحث الثاني/ موقف ناصر الدِّين الأسد من الدِّراسات الاستشراقية في الشعر الجاهلي:

يتأسس موقف **الأسد** من الدراسات الاستشراقية على مبدأ يمكن عدّه من أهم المرتكزات المنهجية في مشروعه، وهو **عدم التسليم بالرأي قبل اختباره**؛ ولذلك نجده يستعرض آراء المستشرقين، ثم يعيدها إلى أصولها، ويقابلها بالمصادر العربية، ويختبر مدى انسجامها مع الشواهد التي يتيحها النص والتراث.

ويبرز ذلك بوضوح في تعامله مع عدد من المستشرقين، من أمثال بيرون، ودوزي، وروبرتسون سميث، وهنري جورج فارمر، ثم مرجوليوث وآلفرت وغيرهم؛ ولم يكن موقفه من هؤلاء واحدًا؛ فقد قبل بعض آرائهم حين وجد فيها ما يسندها، واعترض على بعضها حين لم يجد لها سندًا كافيًا، بل إنه استدرك على بعض المستشرقين ما فاتَهم من النصوص أو الروايات.

ومن أظهر النماذج الدالة على هذا المنهج موقفه من بعض آراء فارمر؛ إذ لم يكتف الأسد بعرض رأيه، وإنما قابل دعواه بالمصادر العربية، ونبّه إلى ما رآه من

اضطراب في بعض استنتاجاته، مؤكدًا أن النص لا ينبغي أن يُقبل على عواهنه، بل لا بد من فحصه وتمحيصه وربطه بمصادره وأصوله.

وهذا المسلك يكشف عن أن نقد **الأسد** للاستشراق لم يكن نقدًا أيديولوجيًا عامًا، وإنما كان **نقدًا من داخل المادة العلمية نفسها**؛ فهو لا يسأل عن هوية صاحب الرأي بقدر ما يسأل عن مصدره، ولا يقيس الرأي بمصدره الجغرافي أو الثقافي، وإنما بمقدار ما يملكه من دليل وقدرة على تفسير الظاهرة.

و**للأسد** الكثير من الوقفات النقديّة في مقالاته وكتبه تجاه آراء المستشرقين، وقد اجتهدتُ في تتبُّع هذه المواقف في عشرات المقالات والمؤلفات، إلّا أنّ جهودي ذهبتْ بددًا، إذْ لم أقفْ منها على ما يخصُّ الشعر الجاهلي إلّا في كتابيه: (القيان والغناء في العصر الجاهلي)، و(مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخيّة)، وأمّا مقالاته وكتبه الأخرى فقد اشتملتْ على مواقف نقدية من آراء المستشرقين في التاريخ والحضارة والفِكر والسياسة ولا سيّما في حوار الأديان.

وإذا ما توقّفنا أولاً عند كتاب(القيان والغناء)، نجدُ أنّ الأسدَ اعتمدَ على جُملةٍ من المصادر المطبوعة والمخطوطة والمترجمة، وتطالعنا بين الفينة والأخرى أسماء ثُلّة من المستشرقين الذين عُنوا بدراسة الشعر الجاهلي، وتاريخ جاهلية العرب، منهم:

أوّلاً/المستشرق الفرنسي بيرون (perron) (١٨٠٥_١٨٧٦م) [٨]:

وكتابه الذي رجعَ إليه الأسد هو (نساء العرب قبل الإسلام وبعده)، الصادر في الجزائر سنة ١٨٤٨م، وقد توقّف عند رأيه في أنّ معظم المشهورين بالغناء((كانوا عبيداً ... ولا يبعدُ أنْ تكونَ القينتان المشهورتان باسم جرادتي عاد_ ولا يزال لأغانيهما بقيّة مرويّة_ فتاتين حبشيتين، وتقول الأخبار إنّهما كانتا لعبد الله بن جُدعان من سلالة عاد))[٩].

ويرى **الأسدُ** أنّ القولَ بأنَّ جرادتي عاد فتاتان حبشيّتان إنّما هو فرضٌ لا يستند إلى نص، فضلًا عن أنّ ثمّة خلطٌ بين جرادتي عاد وجرادتي عبد الله بن جدعان،

وليس بين هؤلاء القِيان إلّا اتِّفاقٌ بالاســـم، فقد قِيل: إنّ عبد الله بن جدعان ســـمّى قينتيه بالجرادتين نسبةً إلى جرادتي عاد القديمتين[١٠] .

ثانياً/المســتشــرق الهولندي رينهارت دوزي[١١] (Reinhart Dozy) (١٨٢٠ _ ١٨٨٣م)

لهُ تحقيقُ لشــرح قصــيدة ابن عبدون المعروفة بالبسّــامة، تأليف ابن بدرون، وصدر في لايدن، سنة ١٨٤٦م.

توقّفَ **الأسدُ** عندَ تحريفٍ وقعَ في تحقيق دوزي، وهو أنّ إحدى الجاريتين وهي قعاد، غنّتْ بأبياتٍ ثلاثة وهي:

ألا يا قَيلُ من عُوصِ ومنْ عادِ بنِ سامِ

وعادٌ كالشّماريخِ من الطُّوَلِ الكرامِ

سقى اللهُ بني عادٍ معاً صوبَ الغمامِ

ثمّ غنّتِ الثّانية وهي ثماد:

إنّنا قومٌ جعلنا من بني عادِ بنِ سامِ

كالشّماريخِ من الطّوْ دِ المناجيبِ العظامِ

فسقى اللهُ بني عا دٍ معاً صوبَ الغمامِ

وتلقّى وفْدَهُم منْ هُمْ بإنعاشِ الرمامِ

والتحريفُ وقعَ في اســـمي الجاريتين: (قعاد وثماد)، فقد رجعَ **الأســـدُ** إلى مخطوطتين من كتاب (كمامة الزَّهْر وفريدة الدَّهْر) لابن بدرون، ومخطوطة حاوي الفنون لابن الطحّان الموسيقي، واستنتج أنّ الجارية (قعاد) ترد في المصادر باسم: (بعاد ونفاد)، والجارية (ثماد) ترد في المصادر باسم (ثماد وتعاد)، إلّا أنه لم يرجّح أيًّا من هذه الأسماء على الآخر.

ثالثاً/المســتشــرق الأســكتلندي[١٢] روبرتســون ســميث(R.Smith) (١٨٤٦م _ ١٨٩٤م)[١٣]:

وَهِمَ **الأسد**(رحمه الله)، فذكر أنه **المستشرق الأسكتلندي روبرتسون سميث (R. Smith) (١٨٤٦م _ ١٨٩٤م)**،مستشرق إنجليزي، وإنّما هو أسكتلندي، درس اللغة العربية في جامعة أدنبرة، وخلفَ المستشرق رايت في كرسي اللغة العربية بجامع كمبريدح[١٤].

لهُ كتابان يرتبطان بجاهلية العرب، الأوّل: محاضرات عن أديان الساميين، لندن، ١٨٨٩م، والثاني: أنساب العرب وزواج الجاهلية، لندن،١٩٠٧م، وقد استشهد الأسدُ بآرائه في خمسة مواضع من كتابه[١٥]، وكان اعتماده فقط على الكتاب الأول: ديانة الساميين، (Religion of he semites)، ولم يعترض على أيٍّ منها، وهذه الآراء هي:

١. إنّ المناسك والشعائر التي يقومُ بها العُبّاد في أثناء القربان تخضع لعادات وتقاليد ثابتة مقرّرة، وأنّ الشعائر المصاحبة لذبح القربان تستمر على صورتها القديمة، حتى بعد أن يفقد الحيوان معاني قدسيته في الحياة العادية.

٢. أنّ لوناً من ألوان النواح والندب والقربان كان جزءًا من أقدم المناسك القربانيّة، وأنّ هذا هو التفسير لبعض الشعائر التي كانت تلازم القربان عند اليونان كالعواء والنواح.

٣. كان العرب كثيراً ما يصطحبون معهم الأصنام في المعارك لاعتقادهم بمدافعة هذه الأصنام عنهم، كما كان بنو إسرائيل يصطحبون معهم التابوت.

٤. من قول الشاعر[١٦]:

وسار بنا يغوثُ إلى مُرادٍ فناجزناهمُ قبل الصّباحِ

يرى روبرتسون أنّ الصنم (يغوث) كان يُحملُ مع القبيلة في غاراتهم.

٥. يرى روبرتسون أنّ الاحتفاء بمولد الطفل إنّما هو رمز لتغيير رحمه؛ لذلك فإنّ الأبوة جاءت متأخرة عن الأمومة، ونظام الأمومة كان سائدًا في البيئة العربية، ومن هنا كانت الوليمة رمزاً لدخول الولد في نسب أبيه ودخوله قبيلته.

رابعاً/ المستشرق الإنجليزي هنري جورج فارمر (Henry George Farmer): (١٨٨٢ _ ١٩٦٥م)[١٧]:

تعلّم اللغة العربية والفارسيّة ليتمكّن من دراسة تاريخ الموسيقى، وألّف كتبًا عدّة، اعتمد الأسدُ منها على كتابه: تاريخ الموسيقى العربية، لندن، ١٩٢٩م.

وكثيراً ما يستشهدُ **الأسد** بآراء **فارمر**، ويقدِّمُ ملاحظاته وتعقباته على بعضها، ومن هذه الآراء:

١. قول لبيد[من الكامل][١٨]:

بِسَمَاعِ مُدْجِنَةٍ وَجَذب كرينةٍ بمُوتّرٍ تأتالُهُ إبهامُها

ذكر المستشرق فارمر أنّ للفظتي الداجنة والمُدجنة قيمة لغوية إذْ إنّهما مشتقّتان من (دجن) بمعنى عام، الدَّجنُ: إلباس الغيم الأرض وأقطار السّماء، ويرى فارمر أنَّه كان من عادة الدّاجنة أن تغنِّي وتعزف حينما تكون السّماء ملبّدة بالغيوم تستنزل بغنائها المطر[١٩].

٢. ذَكَرَ **فارمر** من قِيان الجاهلية:((هزيلة وعفيرة قينتا بني جديس، وهي القبيلة التي أفنت طسم))، ويخطِّئ **الأسدُ فارمر** فيما ذهبَ إليه، فيقول: ((ولا ريبَ عندنا في أنّ الأمر قد التبس على الأستاذ **فارمر**، فهزيلة وعفيرة ليستا قينتين كما ذهب، وإنّما هزيلة هي المرأة التي جاءت عمليقًا تشكو زوجها، وعفيرة هي التي كانتْ ذاهبة إلى عمليق ليفتضّها قبل زوجها، فأخذت القيان معها ليتغنّين))[٢٠].

٣. في قول امرئ القيس[من الطويل][٢١]:

وَإِنْ أُمْسِ مَكْرُوبًا فَيَا رُبَّ قَيْنَةٍ مُنَعَّمَةٍ أَعْمَلتُهَا بِكِرَانِ

وقول لبيد[من الكامل][٢٢]:

صَعْلٌ كَسَافِلَةِ القَنَاةِ وَظِيْفُهُ وَكَأَنَّ جُؤْجُؤَهُ صَفِيْحُ كِرَانِ

وذكرَ **الأسدُ** أنّ من أسماء العُود: الكِران، وأورد رأي **فارمر** في أنّ لفظة الكران مشتقّة من أصلٍ سريانيّ عبري، بينما يرى الأب أنستاس أنها مأخوذة عن اليونانيّة[٢٣].

٤. ذكرَ **فارمر** أنه لم يجد ذكرًا للطنبور في العصـــر الجاهلي، مع أنّه لا بدّ قد وُجِدَ. فاستدرك عليه الأسد بقول الأعشى[من الرمل] (٢٤):

وَطَنَابِيْرَ حِسَانٍ صَوْتُهَا عِنْدَ صَنجٍ كُلَّمَا مُسَّ أَرَنْ

٥. أوردَ الأسد مفصّـلاً رأي فارمر في أنّ النوعين اللذين كانا معروفين من الغناء في الحجاز حيث لم تكن الموسـيقى راقية كما كانت في الحيرة وغسّـان، هُما: النّصْـبُ والنّوح، حتّى نهاية القرن السادس وبداية السابع حينما أدخل الشاعر المغنِّي النّضر بن الحارث عدّة تجديدات من الحيرة، من بينها: غناء أرقى من النّصـــب حلّ محلّه، والعود الخشـبيُّ الذي حلّ محلّ المِزهر الجلدي، ويظهر أنّ الإيقاع كما نقرأ عنه في نوعي الغناء: السّناد والهزج في القرن السابع لم يكنْ معروفاً في تلك الأيّام(٢٥).

ثمّ بيّن **الأسـدُ** أنّ فارمر قد اعتمد في رأيه هذا على كلامٍ لأبي الفرج، وهو (عجبٌ من العجب!)؛ لأنَّ كتابه الأغاني ينقض هذه القولة، فضـلًا عن أنَّ قولًا للمسـعودي وابن خلدون، ثمّ جمعَ **فارمر** بين هذه الآراء فزادها تناقضاً واختلالاً.

يقول **الأسد:**((فهو يقرر أنه لم يكن في الجاهليّة إلّا ضرب واحد من الغناء عُرِف في الحجاز، وهو النّصب، وليس هو إلّا حداء راقياً... ولم يكتفِ بذلك بلْ يذهبُ إلى أنّ السِّـنادَ والهزج لم يُعرفا في الجاهليّة، وإنّما هُما هذا الغناء المتقن الذي اسـتُحدث في أواخر عصـر الخلفاء الراشـدين، وهو يسـوقُ هذا الحكم في ثقةٍ وجزم، ولكنّه لا يذكر المصدر الذي أخذ منه هذا التقرير))(٢٦).

ويُكملُ **الأسـدُ** بعرض الحجج والأدلة، مع نقد المتون، وهو المنهج الذي سـاد في كتاباته، فالنصّ لا يُؤخذُ كما هو على عواهنه، وإنّما ينبغي أنْ يُفحص ويُدقّق كل ما فيه، وهو الأمر الذي افتقر إليه فارمر في رأيه السابق.

٦. في غضون الحديث عن جنسيّات القيان، واللغة التي كانوا يغنين بها، ذكر **فارمر** رأي المسـتشـرق **ليال** (Lyall) أنّ القيان في الجاهليّة كُنّ فارسـيّات أو روميّات، ويغنين أحيانًا قصـائد بالعربيّة في ألحان أجنبيّة، وذكر رأي المسـتشـرق **كريمر**

(Kremer) أنّ هؤلاء المغنيات غنّينَ بادئ الأمر بلغتهنّ الروميّة والفارسيّة لا العربيّة. ثمّ عقّب على قولهما بأنَّه لا يعرف مصدرًا لهذين الرأيين.

وقد استدركَ **الأسدُ** على فارمر فأورد نصّين من كتاب(الأغاني) يؤيدان ما ذهبَ إليه المستشرقان: **ليال وكريمر**، لكنه لا يُطلقُ ذلك بالتعميم الفضفاض، فقد كان ثمة من القيان من هنّ من أصلٍ عربيّ، ودليل ذلك تلك المغنية التي غنّت بأشعار النّابغة الذبياني، وجعلت الشّاعر يُدركُ أنّ في شعره إقواء، كانت بلا شكّ عربيّة من حيث تهذيبها وتعليمها(٢٧).

٧. يشيدُ **الأسد** برأي المستشرق **فارمر** في أصالة الغناء عند العرب، وأنّ الأثر الأجنبي لم يكنْ إلّا جداول صبّتْ في مجرى هذا الغناء الثرّ الفيّاض، فاندمجت فيه، وتدفّقت معه، وربّما تكون قد أضافت إليه جديداً، لكنّها لم تكنْ منبعه البتّة(٢٨).

منهج الدكتور ناصر الدّين الأسد في التأليف:

وأمّا منهج الدكتور **ناصر الدِّين الأسد** في كتابه (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخيّة)، فهو لم يختلف كثيراً عن منهجه في كتابه السابق، وكان لآراء المستشرقين حضورٌ قويٌّ وبارزٌ، تعامل معها **الأسد** بحذرٍ ودقّةٍ بالغين، متفحّصاً لها وعارضًا إيّاها على مصادر تراثنا العربي المطبوع والمخطوط، ومن أبرز المستشرقين الذين تناول **الأسدُ** آراءهم:

أولاً: المستشرق الإنجليزي ديفيد صموئيل مرجوليوث (D.S.Margoliouth) (١٨٥٨م _ ١٩٤٠م)(٢٩):

وقد عرضَ **الأسد** آراءه في قضية النحل والوضع في الشعر الجاهلي، وكانَ قد نشرَ مقالةً في مجلة الجمعية الملكيّة الآسيوية، سنة ١٩٢٥م، بعنوان: (أصول الشعر العربي الجاهلي):

D.S.Margoliouth, The origins of Arabic poetry, Journal of the Royal Asiatic society, July 1925,PP. 417 _ 449.

وقد ذهب **مرجوليوث** إلى أنّ هذا الشِّعر الذي نقرأه على أنه شعر جاهلي، إنّما نُظم في العصور الإسلامية، ثمّ نحله الواضعون لشعراء جاهليين.

ومن الجدير بالذّكر أنّ أول من تناول قضية الانتحال من المستشرقين هو **المستشرق الألماني ثيودور نولدكه**(٣٠) **(Noldeke)** سنة(١٨٦٤م)، وبعد ثماني سنين تطرق للموضوع **المستشرق الألماني آلفرت (Ahlwardt)** في مقدمة دواوين الشعراء الستة الجاهليين منتهيًا إلى أن عددًا قليلًا من قصائد هؤلاء الشعراء يمكن التسليم بصحته مع ملاحظة أن شَكًّا لا يزال يلازم هذه القصائد الصحيحة في ترتيب ألفاظها وأبياتها وتابع كثير من المستشرقين **آلفرت** في موقفه الحذر من قبول كل ما يُروى للجاهليين ومنهم: **موير وباسيه وبروكلمان وغيرهم**(٣١) وغيرهم.

وكان **مرجوليوث** من أكبر من أَثَارَ هذه القضية في كتاباته حيث ذهب إلى رفض الشعر الجاهلي جملةً وتفصيلاً، وقد بنى رأيه هذا على ضربين من الأدلة:

١. الضرب الأول/الأدلة الخارجية(٣٢):

استهل **مرجوليوث** مقالته بالحديث عن وجود الشعر في الجاهلية وموقف القرآن الكريم من الشعر متحدثاً عن بدء ظهوره ونشأته وآراء القدماء في ذلك، ثم انتقل إلى الحديث عن حفظ هذا الشعر الجاهلي، ونفى أن تكون الرواية الشفوية هي التي حفظته ليقول: إنه لم تكن هناك وسيلة لحفظه سوى الكتابة، ثم يعود فينفي كتابته في الجاهلية ليؤكد أنه نُظم في مرحلة زمنية تالية للقرآن الكريم.

ثم تطرّق بعد ذلك إلى الحديث عن الرواة من علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين، فيذكر حمّادًا وخلفًا الأحمر وأبا عمرو بن العلاء والأصمعي وأبا عمرو الشيباني وأبا إسحاق والمبرّد، ثم أضاف إلى ذلك آراء هؤلاء الرواة العلماء بعضهم في بعض، فقال: إن هؤلاء العلماء لم يكن يوثق بعضهم بعضًا، وقال ذلك ليزعم أن الوضع في هذا الشعر كان مستمراً.

٢. الضرب الثاني/الأدلة الداخلية(٣٣):

١. يرى **مرجوليوث** إنّ ما في هذا الشعر الجاهلي لا يمثل الجاهليين الوثنيين ولا من تنصَّروا منهم، فأصحابه مسلمون لا يعرفون التثليث المسيحي ولا الآلهة المتعدِّدة، إنّما يعرفون التوحيد والقصص القرآني، وما فيه من كلمات دينية إسلامية مثل الحياة الدنيا ويوم القيامة والحساب وبعض صفات الله.

٢. انتقلَ بعد ذلك إلى اللغة ليلاحظ أنها لغة ذات وحدة ظاهرة، وهي نفس لغة القرآن الكريم التي أشاعها في العرب، ويقول: ولو أنّ هذا الشعر كان صحيحاً لمثّل لنا لهجات القبائل المتعدِّدة في الجاهلية، كما مثّل لنا الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية واللغة الحميرية في الجنوب.

٣. ثمّ انتقل إلى موضوعات القصائد ولعلّه يريد أن يستنتج منه أن اتفاق القصائد الجاهلية في التطرق لموضوعات واحدة بعينها تتكرر في كل قصيدة أمر يدل على أنها نظمت بعد نزول القرآن لا قبله.

وقد أشار **الدكتور الأسد** إلى أنّ نفرًا من المستشرقين قد تصدّوا للحديث عن صحة الشعر الجاهلي وردّوا فيما كتبوا ما ذهب إليه **مرجليوث** وفنّدوا أدلته وافتراضاته ومنهم(٣٤):

١. **إدوارد براون (Edward Browne) (١٨٦٢م _ ١٩٢٦م).**
٢. **تشارلز جيمس ليال (Charles Lyall) (١٨٤٥م _ ١٩٢٠م):** في مقدمة الجزء الثاني من المفضليات.
٣. **جورجيوليفي دلافيدا (Della Vida) (١٨٨٦م _ ١٩٦٧م):** في مقالته بلاد العرب قبل الإسلام.

ويقفُ **الأسد** إلى جانب الأدباء والباحثين العرب الذين رفضوا أفكار **مرجوليوث،** والتي أحياها من بعده **مصطفى الرافعي وطه حُسين،** وناقشَ في صفحاتٍ كثيرةٍ من كتابه آراء الرافضين ومكتفياً بها، ومنهم: **محمد الخضر حسين، ومحمد لطفي جمعة، ومحمد فريد وجدي، والغمراوي** وغيرهم.

ثانياً/المستشرق الألماني فلهلم آلفرت (Wilhelm Ahlwardt) (١٨٢٨م _ ١٩٠٩م):

لهذا المستشرق إسهاماتٌ عظيمة في الأدب الجاهلي، أهمها: (العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين، لندن، ١٨٧٠م)، و(مجموع أشعار العرب في ثلاثة أجزاء، برلين، ١٩٠٢م _ ١٩٠٣م)، يتضمّن:(الأصمعيات) ومعها قصائد لغوية، ١٩٠٢م، و(ديوان العجّاج) و(ديوان رؤبة بن العجّاج)، ١٩٠٣م.

وله: (ملاحظات على صحّة القصائد العربية الجاهلية) تابعَ فيها شيخه **نولدكه**، وقد ترجمَ **عبد الرّحمن بدوي** في كتابه: (دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي)، الفصل الأوّل منه، وهو في الفصول التالية يتناول قصائد الشعراء الجاهليين، شاعرًا شاعرًا، وقصيدة قصيدة، ويبيّن ما يظنه منحولاً منها(٣٥).

وفضلاً عن ذلك أن قضية الانتحال التي وردَ اسم **آلفرت** فيها، فقد توقّف **ناصر الدين الأسد** عند وَهمٍ آخر له، فقد ذهب في كتاب(العقد الثمين) إلى أنّ النسخة المخطوطة التي اعتمدها برواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السُكري(ت٢٧٥هـ)، وأنه رواها عن أبي عبيدة معمر بن المثنّى(ت٢٠٩هـ) الذي يُحتمل أنه رواها عن شيخه أبي عمرو بن العلاء(ت ١٥٤هـ)، والمخطوطة محفوظة في لايدن، وكتبتْ سنة (٥٤٥هـ)(٣٦).

غيرَ أنّ **الأسد** على الرغم من عدم اطّلاعه على مخطوطة لايدن، فقد جزمَ بأدلّةٍ ثلاثة على أنّ الأمر ملتبس على **آلفرت**، وأنّ نسخة السكري هذه ذات روايات مختلفة أكثرها كوفية، وجعل على ذلك ثلاثة أدلة:

الدليل الأول: اشتملت هذه النسخة على سبعٍ وستين قصيدة ومقطعة لامرئ القيس، بينما شعر امرئ القيس في رواية الأصمعي(ت٢١٦هـ) ثمان وعشرون قصيدة ومقطعة فقط، وهو في نسخة الطوسي(ت٤٦٠هـ) من الرواية الكوفية سبع وأربعون قصيدة، منها: اثنتان وأربعون من رواية المفضل نفسه، والخمس الأخرى جمعها: الطوسي من رواية غيره من الكوفيين، ونصَّ في إحداها على أنها من رواية

أبي عمرو الشيباني(ت٢٠٦هـ)، وشعره في نسخة ابن النحاس(ت٣٣٨هـ) ستّ وخمسون قصيدة ومقطعة، وفي نسخة الطوسي قصائد كثيرة ألحقها جامع مجهول بنسخة الطوسي فجاء شعر امرئ القيس في هذه النسخة في ست وسبعين قصيدة.

فإذا علمنا أن منهج البصريين التضييق في الرواية والتحري والتدقيق في مصادرها، وأن منهج الكوفيين التوسع في الرواية والمصادر معًا، وإذا قرنا هذا بما رأيناه من أن رواية الأصمعي البصري لشعر امرئ القيس جاءت في ثمانٍ وعشرين قصيدة ومقطعة فقط، وهي أقل روايات هذا الشعر كافة، علمنا أن نسخة السكري بقصائدها ومقطعاتها السبع والستين لا يمكن أن تكون عن بصري أو عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء.

والدليل الثاني: قال ابن النديم (ت٣٨٥هـ)في معرض حديثه عن ديوان امرئ القيس ورواياته المختلفة: (وصنعه من جميع الروايات أبو سعيد السكري فجود).

وأما الدليل الثالث: فهو أن السكري(ت٢٧٥هـ)_ على أخذه عن البصريين _ قد كان فيما يبدو أميل إلى الكوفيين وأكثر أخذًا عنهم، فهو متفق معهم في المنهج الذي يرمي إلى التوسع في المصادر، والتكثر في الرواية والجمع، ومن أجل هذا نراه أكثر الأخذ عن محمد بن حبيب كما ذكر ياقوت. ومحمد بن حبيب روى كتب ابن الأعرابي تلميذ المفضل.

ودليل رابع: فرع للدليل الثالث يدعمه ويقويه، وهو أن الدواوين التي بين أيدينا من صنعة السُّكري إنما رواها كلَّها عن محمد بن حبيب الكوفي المذهب، ومنها ديوان حسان بن ثابت، وديوان الحطيئة، وديوان جران العود.

ومن أجل هذا كلّه _ ولا سيّما من أجل الدليل الأول والثاني _ فقد رجَّح **الأسد** أن نسخة السكري هذه صنعها من جميع الروايات وهو ما ذكر ابن النديم، وأن معتمد هذه النسخة _ لكثرة قصائدها _ على الروايات الكوفية، وأنَّها لا يمكن أن تكون كلّها من رواية أبي عبيدة وحده(٣٧).

المبحث الثّالث: موقف ناصر الدّين الأسد من تحقيق المستشرقين للشعر الجاهلي

عَبْرَ تتبعي لتراث **ناصر الدّين الأسد** وما تركه لنا من مؤلّفات ومقالات، يتجلى إنصاف الأسد العلمي بأوضح صورة في موقفه من تحقيقات المستشرقين للدواوين الجاهلية، فإنّه من الممكن أن نقول: إنّه لم يحقِّق إلّا دِيوانين من دواوين الشعر الجاهلي، وهُما: (ديوان قيس بن الخطيم)، و(ديوان الحادرة)، ولم يلجأ إلى جمع شعر شاعر جاهلي من المصادر، أمّا تعريفه بالعجير السلولي وحُذافة بن غانم فهما بحثان في ترجمتهما وليسا في جمع شعرهما.

وفي الشان نفسه فقد كان تحقيق ديوان قيس بن الخطيم، من قبل **المستشرق البولندي ثادوس كوفالسكي** (Thaddus Kovalski)، وصدرتْ طبعته في لايبزج سنة ١٩١٤م، وأما ديوان الحادرة فقد نشره **المستشرق الألماني آنجلمان** Wilhelm Engelmann، في لايدن، مطبعة بريل، عام ١٨٥٨م، ثمّ نشره محقق هندي اسمه: **امتياز علي عرشي**، في مجلة الجمعية الآسيوية، بمباي، المجلد(٢٤ _ ٢٥)، عام (١٩٤٨م _ ١٩٤٩م)، وبذلك فقد حقَّق المستشرقان قصب السبق في تحقيق الديوانيين أعلاه.

ومن الجدير بالذكر أنه صدرَ (ديوان قيس بن الخطيم) بطبعته الأولى، وبتحقيق **الأسد** سنة ١٩٦٢م، في مكتبة دار العروبة بالقاهرة، ثمّ تلاهُ بعد سبع سنوات، أي: سنة ١٩٦٩م،(ديوان الحادرة)، في مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، المجلد ١٥.

غير أن إعادة الأسد تحقيق هذين الديوانين لم تقم على إلغاء جهود السابقين أو تجاوزها، بل قامت على الإفادة منها والبناء عليها .فقد أثنى على كوفالسكي، وأشاد بدقته وأمانته وجهده في مقابلة المخطوطات والمصادر وإثبات فروق الروايات، بل صرّح باعتماده على كثير مما أنجزه في تحقيقه.

وأزاء تحقيق **كوفالسكي** لديوان قيس بن الخطيم، وتتجلى هذه الروح العلمية كذلك في موقفه من تحقيق آنجلمان لديوان الحادرة، إذ اعترف له بفضل السبق في نشر

الديوان، وأشاد كذلك بعمل امتياز علي عرشي، ثم قدّم مسوغات إعادة التحقيق، ومن أبرزها العثور على نسخة خطية أخرى، وجمع قدر من شعر الحادرة لم يرد في الطبعات السابقة، فضلًا عن استدراك فروق الروايات والمصادر والشروح.

وتكشف هذه الممارسة عن قاعدة منهجية مهمة في تفكير الأسد، مفادها أن **التحقيق الجديد لا يستمد مشروعيته من مجرد الرغبة في إعادة النشر، وإنما من مقدار ما يضيفه إلى النص المحقق** .فكل طبعة لاحقة ينبغي أن تجيب عن سؤال جوهري :ماذا أضافت؟ وما الذي استدركته؟ وما الذي جعلها أقدر على تمثيل النص من سابقتها؟

لقد أثنى **الأسـدُ** على تحقيقه وأمانته ودقّته، والجهدُ كما يُقال: يُذكر فيُشـكر، وأشاد إلى بذله جهداً كبيراً في قراءة مخطوطات الدِّيوان، ومقابلة ذلك ومراجعته على الكثير من المصـادر العربية، وإثباته فروق الروايات المختلفة، فقد أخلصَ في عمله، ممّا جعلَ **الأسد** يعتمد كثيراً على هذه الطبعة الأوروبيّة في مصـادر التخريج وفروق الروايات(٣٨).

وقد اعتمد **كوفالسـكي** في تحقيقه لديوان قيس بن الخطيم على مخطوطة طوبقابي سراي، رقم: (٢٥٣٤)، وهي ذاتها التي اعتمد عليها **الأسد** في تحقيقه، وفي الوقت نفسـه فقد وقفَ على مصـوّرة عنها في دار الكتب المصـريّة، وفي أولها نبذة عن حياة قيس بن الخطيم، كان **كوفالسكي** قد تعرّف على مصـدرها، وأنها مسـتمدة من كتاب: (روضـة الأدب في طبقات شـعراء العرب)، **لإسـكندر آغا أبكاريوس**، المطبوع في بيروت، سنة ١٨٥٨م.

وقد أشـاد **الأسـدُ** بصـنيع **كوفالسـكي** فقال: ((والحقُّ أنني اعتمدتُ كثيراً على الطبعة الأوروبية، بل إنّني بدأتُ بنسخ ما ورد فيها من تخريجات للقصـائد والأبيات، ومن فروق في الرواية في الكتب المختلفة، وإنّي لواثقٌ أنني _ لولا جهد **كوفالسـكي** لغاب عنِّي كثيرٌ من المراجع العربية التي ذكرتُها في التخريج، ولذلك آثرتُ _ اعترافاً

بفضـــله _ أن أذكر طبعات كثير من الكتب العربية التي رجع إليها **كوفالســـكي** نفسه))(٣٩).

وأمّا مسوِّغات إعادة النشر التي يراها **الأسد**، فتكمن في غياب كثير من الكتب التي لم يرجع إليها المستشرق؛ لأنّها لم تكنْ مطبوعة آنئذٍ، كما أنّ نشرة المستشرق لم تكنْ متوافرة لدى الباحثين والدّارسين، ممّا قوّى عزيمة **الأسد** لإعادة تحقيق الديوان ونشـره، فضـلاً عن أنّه تصـدّى لمطالب تحقيق النص على نحوٍ أفضـل من تحقيق المسـتشـرق، ممّا جعل عمله قيمًّا بالتقدير من دونَ أنْ يبخسـه المحقِّقون قدره(٤٠)، وهذا الأمر يُسجَّل للأسد حرصه بالتراث العربي وعنايته به.

وأمّا تحقيق **آنجلمان لديوان الحادرة**، ومسـوِّغات إعادة نشـره، فيقول **الأسـد**: ((وإذا كان للدكتور **آنجلمان** فضـــل الســبق في نشـــر هذا الدِّيوان وتعريفنا به، وهو فضلٌ حقيقٌ بالشكر، فإنّ فضلَ **الأستاذ امتياز علي عرشي** في إخراج طبعة علمية محقّقة من هذا الدِّيوان فضلٌ كبيرٌ جديرٌ بأنْ يُسجّل له ويُنوّه به، فقد استطاع بالنُّسخ التي رجع إليها أنْ يصـــحِّح كثيراً من أخطاء النشـرة السّـابقة، وأنْ يكمل النقص في بعض عباراتها، ثمّ إنَّه أثبت اختلاف النُّســخ في الحواشـــي ونصَّ على الفروق بين الرِّوايات ... ثمّ ذيّلَ هذه النشـــرة بفهارس أربعة: فهرس الأبيات، وفهرس الأعلام والقبائل والأماكن، وفهرس الألفاظ المفسّرة في الشرح، وفهرس الكتب)) (٤١).

وفي الشأن نفسه، أشاد **الأسد** بتحقيق الديوان، فقال: ((وهذا عملٌ جليلٌ حقّاً، يكادُ يُغني عن نشـر الدِّيوان مرّةً أخرى، لولا أمورٌ دعتْ إلى ذلك منها: أنه نشره في مجلّةٍ يصـــعبُ على كثيرٍ من العلماء والأدباء اقتناء نُســـخةٍ منها، والرُّجوع إليها، ومنها: أنّني عثرتُ على نُسـخةٍ خطِّيّة أخرى للدِّيوان لم يطّلع عليها **الأسـتاذ امتياز**، ومنها: أنّني جمعتُ للحادرةِ من الشِّـــعر غير الوارد في الدِّيوان قدراً صـــالحاً فاتَ **الأستاذ امتياز**))(٤٢).

وتابع **الأسد** حديثه عن حواشي الديوان ومتعلقاتها، فقال: ((ومنها أنّني أشرتُ في الحواشي إلى فروقٍ في الرّوايات وإلى مصادر ومراجع وإلى شروح وتفسيرات لم يُوردها، ومع ذلك، فإنّ كلّ هذا الذي فعلتُهُ لا يعدو أنْ يكونَ مجرّد استمرار لجهدِ عالمين سابقين، وتكملةً لما بدآه، وللدكتور **آنجلمان** والأستاذ **امتياز علي عرشي** الفضلُ الأوّلُ والشُّكرُ الأجزل))(٤٣).

ونُلاحظُ ممّا سبقَ من كلامِ **الأسد**، أنّه لم يُبخسْ حقّ **المستشرق الألماني آنجلمان**، ولا **الباحث الهندي امتياز علي عرشي**، فقد اعترفَ لهما بالفضل، وأنّ عملهُ في إصدار نشرةٍ ثالثةٍ لم يكنْ ليستوي على ساقهِ لولا جهود المحقِّقين السّابقين، فضلاً عن أنَّه عُنيَ بمبرّرات إعادة النشر، فإصدارُ نشرةٍ ثالثةٍ من ديوانٍ طُبِعَ مرَّتين لا بدّ له من مسوّغاتٍ مُقنعةٍ كتلك التي قدّمها **الأسدُ** في كلامه السابق.

ومن هنا غدا التحقيق عند الأسد عملًا تراكميًا؛ لا يلغي فيه اللاحق السابق، وإنما يصحح مساره ويستكمل نقصه، ويضيف إليه ما استجد من نسخ ومصادر وشواهد.

ويُحسبُ **للأسد** هذه الأمانة العلميّة والدقّة والإنصاف، فهو لم يتسلّق على جهود من سبقوه في أعمالهم، وهذا يؤكّد أنّ العمل في التحقيق قبلَ أنْ يكون عملاً علميًّا إنّما هو عملٌ أخلاقي.

المبحث الرابع/ ناصر الدّين الأسد بين الذاتيّة والموضوعيّة:

لعل هذا المبحث هو الأكثر اتصالًا بجوهر التجربة النقدية عند الأسد؛ إذ إن موقفه من المستشرقين يكشف عن توازن دقيق بين الإفادة من الآخر ومساءلته، وبين الاعتراف بفضله العلمي وعدم التسليم بنتائجه.

وقد عبّر الأسد عن هذا المبدأ بوضوح حين أكد أنه أراد أن يسلك سبيلًا علميًا خالصًا، لا تحكمه الأهواء ولا التعصب لرأي سابق، وأن غايته لم تكن إثبات نتيجة مقررة سلفًا، وإنما الوصول إلى ما ينتهي إليه البحث الموضوعي.

وتترجم هذه الرؤية في ممارسته التطبيقية؛ فهو لا يقبل رأيًا استشراقيًا لمجرد ذيوعه،

ولا يرفضه لمجرد صدوره عن مستشرق، وإنما يرده إلى مصادره ويمتحنه في ضوء الأدلة اللغوية والأدبية والتاريخية .فإذا وجد في الرأي قوةً أو سبقًا علميًا اعترف به، وإذا وجد فيه خللًا ناقشه وأقام الدليل على ما يراه أصوب.

إذا ما توقّفنا عند آراء المستشرقين التي تقبّلها **الأسدُ** أو اعترضَ عليها، سواء أكانت في كتابه (القيان والغناء) أم كتابه(مصادر الشعر الجاهلي)، فإنّنا نجدُ دقّة **الأسد** وحذره في التعامل معها، فهو لا يقبلها من دون فحصها ثمَّ بردِّها إلى مظانِّها من المصادر الأدبيّة واللغويّة، ولا يقبلُ استنتاجات المستشرقين القائمة على التخيّل أو الظنّ، ولا يكتفي بذلك فحسب، بلْ نجدهُ يقدِّم الأدلة والبراهين على نقض ما لا يراه مناسبًا من أفكارهم.

وفي مسألة الانتحال التي شغلتْ قسمًا كبيرًا من كتابه (مصادر الشعر الجاهلي)، نجدُ **الأسد** يكتفي بردود الباحثين والنقّاد ممّنْ سبقوهُ في الردّ على "**طه حُسين**" و"**الرافعي**" اللذين كانا يردِّدان ما أثاره **مرجوليوث** من شكوكٍ حول صحّة الشعر الجاهلي، متعاملاً في ذلك بمنهجٍ ارتضاه لنفسه سبيلاً في كتابه، ووضحه بقوله: ((وقد بذلتُ أقصى الجهد في أن أنهج نهجًا علميًّا خالصًا، لا أميلُ مع هوى، ولا أتعصبُ لرأي، ولا أعتسف الطريق من أمامي اعتسافًا، بلْ لعلّ من الصواب أنْ أذكر أنِّي حين دخلتُ في الموضوع لم يكن يحفّزني إلّا الموضوع نفسه، ولم يكنْ نُصب عيني غاية بذاتها أتوخّاها وأرمي إلى إقامة الدليل عليها، غير الغاية المجرّدة التي سينتهي إليها البحث الموضوعي وحده))(٤٤).

وقد برزتْ لنا موضوعية **الأسد** في تعامله مع تحقيق: **كوفالسكي لديوان قيس بن الخطيم**، وتحقيق: **آنجلمان لديوان الحادرة**، فقد أثنى على صنيعهما، واعترف بفضلهما، وأنَّه لم يكنْ يتوانى عن الرجوع إلى طبعتيهما أثناء تحقيقه، لكنه أيضًا أبرز مبرراته لإعادة النشر، وتفوُّق طبعته على طبعتيهما، فكان بحق أنموذجًا للعمل العلمي الذي لا ينجرف وراء الذاتية، وينشد الحقيقة والصواب في كل ما يذهبُ إليه.

ومن أبلغ صور ذلك موقفه من تحقيق كوفالسكي لديوان قيس بن الخطيم

وتحقيق آنجلمان لديوان الحادرة؛ فقد أثنى على جهودهما واعترف بفضلهما، وفي الوقت نفسه قدّم مبرراته العلمية لإعادة التحقيق، الأمر الذي يكشف عن استقلال الحكم النقدي عنده، وعن قدرته على الجمع بين **الإنصاف والتمحيص**.

وهنا تتكشف إحدى أهم خصائص شخصية الأسد العلمية :**فهو لا يرى الاعتراف بفضل السابقين انتقاصًا من عمل اللاحقين، كما لا يرى نقد السابقين جحودًا لجهودهم**؛ لأن الحقيقة العلمية عنده أوسع من الأشخاص، والعمل العلمي حلقات متعاقبة، يستضيء بعضها ببعض، ويصحح بعضها بعضًا.

ومن ثم فإن موضوعية الأسد ليست مجرد موقف أخلاقي محمود، وإنما هي جزء من بنيته المنهجية؛ فهو يمارس الموضوعية في اختيار المصادر، وفي تقويم الروايات، وفي الحكم على تحقيقات السابقين، وفي التعامل مع آراء المستشرقين، وفي بناء النتيجة النهائية.

الخاتمة:

تكشف هذه الدراسة، في ضوء تتبع موقف ناصر الدين الأسد من جهود المستشرقين في الشعر الجاهلي، عن أن تجربته العلمية لم تكن مجرد ردود متفرقة على آراء المستشرقين، وإنما كانت جزءًا من مشروع أوسع لإعادة قراءة التراث الجاهلي قراءة تستند إلى النص، وتحتكم إلى الدليل، وتستفيد من منجزات البحث الحديث دون أن تتنازل عن مقتضيات التحقيق العربي الدقيق، وقد انتهت الدراسة إلى جملة من النتائج، من أبرزها:

١. **كشفت الدراسة عن رسوخ المنهج وانضباطه في مشروع ناصر الدين الأسد العلمي**، إذ تتآزر في مؤلفاته وتحقيقاته جملة من السمات المنهجية المشتركة، ولا سيما في تعامله مع مصادر التراث العربي وتحقيق نصوصه؛ فقد أولى المتون والمجاميع الشعرية والدواوين عنايةً علمية دقيقة، تجلّت بوضوح في مقدماته لتحقيق دواوين الشعر الجاهلي، ومن أبرزها **ديوان قيس بن الخطيم** و**ديوان الحادرة**، بما

يكشف عن منهج متماسك يقوم على التحقيق، والتمحيص، والموازنة، واستقراء المادة من مظانها المختلفة .

٢. **استأثر استقصاء النسخ الخطية والمدوّنات المتعلقة بدواوين الشعر الجاهلي بمساحة واسعة من عناية الأسد وجهده العلمي؛** فلم يكتفِ بما استقر في أيدي الباحثين من نصوص مطبوعة، بل تتبّع طبعاتها السابقة واللاحقة، ووقف على خصائصها ومزاياها، وما يعتريها من وجوه النقص أو التصحيف أو الاختلاف، سعيًا إلى بناء النص على أقرب صورة ممكنة إلى الدقة والصواب، وإرساء التحقيق على أساس من المقارنة والاستقصاء لا على مجرد الاكتفاء بالمصادر المتاحة.

٣. **اتسم موقف ناصر الدين الأسد من متون الأدب العربي، ولا سيما الشعر الجاهلي، بموضوعية علمية راسخة، ونزاهة نقدية واضحة؛** إذ لم يتعامل مع الطبعات السابقة أو اللاحقة بمنطق الرفض أو القبول المطلق، وإنما وازن بينها، وكشف عن وجوه القوة والقصور فيها، من غير أن يحجب ذلك فضل أصحابها أو يقلّل من جهود محققيها، فجمع بين نقد العمل العلمي وإنصاف صاحبه، وهي خصيصة تكشف عن وعي عميق بأخلاقيات التحقيق ومقتضيات البحث العلمي.

٤. **مثّل استقصاء رواية الديوان والكشف عن أصولها ومنابعها الروائية أحد المرتكزات الرئيسة في منهج الأسد في تحقيق الشعر الجاهلي؛** إذ لم يكن يكتفِ بإثبات النص الشعري، بل كان يتتبّع مسالك روايته، ويتحرّى عن الرواة الذين انتقل النص عن طريقهم، ويقيس الروايات بعضها إلى بعض، ثم يوازن بينها في ضوء معايير الجودة والدقة والوثوق، ليصل إلى النص الذي يراه أقرب إلى أصله وأبعد عن مظان التحريف والاضطراب .

٥. **أظهر الأسد وعيًا منهجيًا متقدمًا بمسوغات إعادة نشر المتون الشعرية ودواوينها؛** فلم يرَ في إعادة التحقيق والنشر تكرارًا لما سبق، ولا استنساخًا لجهود المحققين السابقين، وإنما جعل لها مشروعيتها العلمية حين تنهض على إضافة حقيقية، كاستدراك نصوص، أو مقابلة نسخ، أو تصحيح روايات، أو كشف فروق،

أو إعادة النظر في نتائج سابقة، وبذلك غدا التحقيق عنده **فعلًا علميًا منتجًا يضيف إلى المعرفة ولا يكررها** .

٦. **اتخذ الأسد من الدقة والاحتياط في إثبات نصوص الديوان ومصادرها مبدأً أصيلًا في عمله التحقيقي**؛ فكان يتتبّع الأبيات في مظانها الأدبية، ويقابل الروايات والنصوص بعضها ببعض، ويثبت وجوه الاختلاف بينها، بما يتيح للقارئ والباحث الوقوف على مسار النص وتحولاته، ويعزز الثقة بالصيغة التي انتهى إليها التحقيق .

٧. **لم ينظر الأسد إلى تحقيق النص بوصفه عملًا يقتصر على ضبط ألفاظه وإثبات رواياته، بل وسّع مفهوم التحقيق ليشمل ما يعين على استجلاء النص وفكّ مغلقاته**؛ فكان شرح الغريب، والتعريف بالأماكن، وبيان ما يلابس النص من ألفاظ أو إشارات أو مواضع مشكلة، جزءًا من صميم عمله، إدراكًا منه أن سلامة النص لا تكتمل إلا بسلامة فهمه وإضاءة سياقاته ودلالاته .

٨. **أثبتت الدراسة أن الإحاطة الشاملة بمتون الشعر الجاهلي ليست سبيلًا ميسّرة، وإنما هي طريق شاق تتنازعه تعدد المصادر وتباين الروايات وتشتت المادة بين المخطوط والمطبوع**؛ ولذلك عمد الأسد إلى توسيع دائرة الاستقصاء، فجمع بين المصادر التراثية المطبوعة والمخطوطة، والمراجع العربية والأجنبية الحديثة، ولم يغفل ما كتبه المستشرقون من آراء ودراسات، بل أخضعها للفحص والتمحيص والموازنة، فأخذ منها ما عضدته الأدلة العلمية والمنهجية والتاريخية، وردّ ما لم ينهض عليه دليل أو خالف مقتضيات البحث الرصين .

٩. **تحرّر موقف الأسد من الشعر الجاهلي من سلطان الهوى والميول والأحكام المسبقة، وجعل من النقد العلمي معيارًا حاكمًا في قبول الآراء وتقويمها**؛ فلم يكن مصدر الرأي عنده كافيًا للحكم عليه، بل كان ينظر في قيمته العلمية وسلامة منطلقاته وموافقته لأصول اللغة والتاريخ والنقد. ويتجلى ذلك بوجه خاص في موقفه من بعض آراء المستشرقين؛ إذ لم يرفضها لمجرد صدورها عن غير العرب، ولم يقبلها لمجرد

شيوعها، وإنما أخضعها للمحاكمة العلمية، ولا سيما حين تتصل بفهم اللغة العربية أو تفسير النصوص الشعرية التي قد لا تسعف فيها المعرفة اللغوية غير المتخصصة .

١٠. **لم يكن قبول النص الأدبي والشعري عند الأسد قائمًا على مجرد وروده في مصدر من المصادر، بل كان ثمرة بحث واستقصاء وتعليل وتفسير**؛ إذ اتخذ من مساءلة الظواهر وتتبع أسبابها، وردّ الفروع إلى أصولها، ومقارنة الروايات، واستجلاء سياقات النصوص، وسائلَ للكشف عن حقيقتها. ومن ثمّ فإن منهجه لم يقف عند حدود **إثبات النص**، بل تجاوزه إلى **فهمه وسبر أغواره واستكناه دلالاته**، بما يجعل التحقيق عنده عمليةً معرفية متكاملة تتضافر فيها الرواية والدراية، ويأتلف فيها ضبط النص مع حسن فهمه وتأويله .

في ختام هذه النتائج ولا بدَّ من القول أن مشروع ناصر الدين الأسد في تحقيق الشعر الجاهلي لا يمكن اختزاله في مجرد مقابلة النسخ وضبط الأبيات وإثبات الفروق، بل يتبدّى بوصفه **مشروعًا علميًا متكاملًا لإعادة بناء النص التراثي على أسس من الاستقصاء ،والنقد، والموازنة، والموضوعية، والتحرّي التاريخي واللغوي**؛ وهي سمات جعلت من تحقيقاته نماذج بارزة في الدرس التراثي الحديث، وأكسبت عمله قيمة تتجاوز حدود النص المحقَّق إلى ترسيخ وعي منهجي بمفهوم التحقيق وشروطه وغاياته.

هوامش البحث:

(١) ناصر الدين الأسد: العالم المفكر والأديب الشاعر: 13–17، سَفَرٌ في المدى: ناصر الدين الأسد ملامح من سيرته وأدبه: ٦٨٩.

(٢) ناصر الدين الأسد: العالم المفكر والأديب الشاعر: ١٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٣–١٧، و(موقع الجامعة الأردنية)، الرابط https://www.google.com/search?q

(٤) ناصر الدين الأسد: العالم المفكر والأديب الشاعر: ١٥–١٧.

(٥) المصدر نفسه: ١٧–١٨.

(٦) المصدر نفسه: ١٧–١٩.

(٧) المصدر نفسه: ١٩.

(٨) معجم أسماء المستشرقين: ٢٤٦.

(٩) داعي السماء بلال بن رباح مؤذن الرسول: ١٢٨، وينظر: القِيَانُ والغِنَاءُ في العصر الجاهلي: ١٣٤.

(١٠) القِيَانُ والغِنَاءُ في العصر الجاهلي: ١٣٤.

(١١) موسوعة المستشرقين: ٢٥٩.

(١٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٣) ينظر: ترجمته ومؤلفاته في: معجم أسماء المستشرقين، ليحيى مراد، ص٦٨٩.

(١٤) ينظر:المستشرقون: ج ٢ / ٤٨٩، و سَفَرٌ في المدى: ص: ٦٨٩.

(١٥) ينظر: القيان والغناء: ١٤٦، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٤، ١٥٧.

(١٦) لم أقف على نسبة هذا النص الشعري، على ما وقفت عليه من مصادر ومراجع.

(١٧) تنظر ترجمته ومؤلفاته في: معجم أسماء المستشرقين: ٧٦٤.

(١٨) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ٣١٤، وللبيت روايات كثيرة، ويُروى البيت أيضًا:

وَصَبُوحِ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِيْنَةٍ كرينةٍ بِمُوَتَّرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهَامُهَا

بِصَبُوحِ صَافِيَةٍ: الصَّبُوح هو الخمر التي تُشرب بالغداة(أول النهار) والمقصود به هنا خمر الصباح، والصافية هي الخمر النّقية من الشوائب، **وَجَذْبِ**: المَدُّ والشدُّ، والمقصود به هنا جَرُّ ونقرُ أوتار آلة العزف،**كَرِينَةٍ** :الكَرِينَة هي المُرنِّمة أو العازفة (القَينة)أو الجارية المغنِّية أو التي تضرب على العود(العوَّادة)،الجارية المغنِّية أو التي تضرب على العود(العوَّادة)،وجَذْبها هو ضربها ونقرها على أوتار العود، **بِمُوَتَّرٍ**: المُوتَّر هو العود أو آلة الطَّرب التي شُدَّت عليها الأوتار، **تَأْتَالُهُ: تَصْلَحُهُ**: يُقال

"أُتِلَ الشيء" **تُصْلِحُه** وتُسوّيه وتُهيّئه.أو "تأتالَ فلانٌ أمرَهُ" أي أصلحه، ودبّره، وساسه بشكل جيد،**تَأَتَّى لَهُ:** تهيأ له وسَهُل، **تَتَأَتَّى لَهُ: تُعَالِجُهُ فِي أَنَاةٍ**،أي: تُداري الأمر، وتتعامل معه برفق، وتأنٍّ، وصبر دون استعجال، حتى يلين لك ويستقيم، **إِبْهَامُهَا** والمقصود أن إبهام العازفة تُسوّي أوتار العود، أو تُصلح وضعه لتُخرج منه النغمات الصحيحة والمتزنة أثناء العزف، والأصل اللغوي لها من(أول) بمعنى رَجَعَ أو آلَ إليه السُّؤدد والسياسة والإصلاح. لسان العرب: ١٣٧/١.

(١٩) ينظر: القيان والغناء، لناصر الدين الأسد: ٢٨.

(٢٠) ينظر: المصدر نفسه: ٧٥.

(٢١) ديوان امرئ القيس: ٨٦.

(٢٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: امرئ القيس: ١٤٨، كِرَانِ: بربط، سافلة القناة: فوق الزَّج من الرمح،وَظِيْفُهُ كالقَنَاةِ، أي: طويل الساقين، والجُؤجُؤَهُ: الصَّدر، يقول: كأنَّ صدره صدر عود، والصَفِيْحُ: الخشب المشقوق.

(٢٣) ينظر: القيان والغناء: ١٠٦.

(٢٤) ديوان الأعشى الكبير: ٣٥٨.

(٢٥) ينظر: القيان والغناء، لناصر الدين الأسد: ١١٥_١١٦.

(٢٦) ينظر: المصدر نفسه :١١٩.

(٢٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٣.

(٢٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٩.

(٢٩) تنظر ترجمته في: موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي: ٥٤٦.

(٣٠) تنظر ترجمته في: المصدر نفسه : ٥٩٥.

(٣١) ينظر: تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)، لشوقي ضيف: ١٦٦.

(٣٢) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي، لناصر الدين الأسد: ٣٥٣.

(٣٣) ينظر: المصدر نفسه : ٣٦٠.

(٣٤) ينظر: المصدر نفسه :٣٦٧_ ٣٧٦.

(٣٥) موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي:٤٧.

(٣٦) مصادر الشعر الجاهلي، لناصر الدين الأسد: ٥٠٤.

(٣٧) ينظر: المصدر نفسه:٥٠٥ _ ٥٠٦.

(٣٨) ينظر: مقدمة ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: ناصر الدين الأسد: ٢٧.

(٣٩) مقدمة ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: ناصر الدين الأسد: ٢٧.

(٤٠) ينظر: المصدر نفسه : ٢٨.

(٤١) مقدمة ديوان الحادرة، تحقيق: ناصر الدين الأسد: ٢٨٠ _ ٢٨٢.

(٤٢) المصدر نفسه، الصفحات نفسها .

(٤٣) المصدر نفسه، الصفحات نفسها .

(٤٤) مصادر الشعر الجاهلي، لناصر الدين الأسد: ٧.

أولًا/المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، وتليه المصادر والمراجع:

١. **ابن الخطيم، قيس**،ديوانه، تحقيق: ناصر الدين الأسد، وزارة الثقافة، عمّان، ط٤، ٢٠١٠م.

٢. **الأعشى الكبير، ميمون بن قيس**، ديوانه، قرأه وقدَّم له: د.محمد محمد حسين، الناشر: مكتبة الآداب الجماميز، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.

٣. **امرؤ القيس**، ديوانه،رواية الأصمعي من نسخة الأعلم، ورواية المفضل من نسخة الطوسي،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط٥، ١٩٦٩م.

٤. **تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي**، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٨، د.ت.

٥. **الحادرة، قطبة بن أوس(ت٥هـ)**: ديوان شعر، رواية الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن أصمع (ت ٢١٦هـ)،إملاء ورواية أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي (ت٣١٠هـ)، حقّقه وعلّق عليه: ناصر الدين الأسد،مجلد(١٥)، الجزء(٢)، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٦٩م.

٦. **داعي السماء بلال بن رباح مؤذن الرسول**، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ط، (١٩٤٥م).

٧. **سَفَرٌ في المدى: ناصر الدين الأسد: ملامح من سيرته وأدبه**، مي مظفر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، (١٩٩٨م).

٨. **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، حقَّقه وقدَّم له: إحسان عباس، الناشر: وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت،ط١٩٦٢،١م.

٩. **القِيَانُ والغِنَاءُ في العصر الجاهلي**، ناصر الدين الأسد، وزارة الثقافة، عمّان، ط٤، ٢٠١٠م.

١٠. **المستشرقون**، نجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، ط٣، (١٩٦٤م).

١١. **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التّاريخية**، لناصر الدين الأسد، دار الفتح، عمّان، ط٩، ٢٠١٠م.

١٢. **معجم أسماء المستشرقين**، يحيى مراد، د.ط، د.ت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٣. **موسوعة المستشرقين**، لعبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
١٤. **ناصر الدين الاسد: العالم المفكر والأديب الشاعر**، تأليف: أحمد العلاونة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط١،٢٠٠٤م.

ثانيًا/ الشبكة العنكبوتية:

١٥. **سـيرة ناصـر الدين الأسـد**، موقع الجامعة الأردنية، ووزارة الثقافة الأردنية، المرفوعة على الشبكة العنكبوتية.

BIBLIOGRAPHY

First: List of Sources and References

The Glorious Quran

1. Ibn al-Khatim, Qays, his Diwan, edited by Nasser al-Din al-Asad, Ministry of Culture, Amman, 4th edition, 2010.

2. Al-A'sha al-Kabir, Maymun ibn Qays, his Diwan, read and introduced by Dr. Muhammad Muhammad Husayn, published by Maktabat al-Adab al-Jamamiz, Cairo, Egypt, n.d.

3. Imru' al-Qays, his Diwan, the narration of al-Asma'i from the copy of al-A'lam, and the narration of al-Mufaddal from the copy of al-Tusi, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Ma'arif, Cairo, Egypt, 5th edition, 1969.

4. A History of Arabic Literature, The Pre-Islamic Era, Shawqi Dayf, Dar al-Ma'arif, Cairo, 8th edition, n.d. 5. Al-Hadira, Qutba ibn Aws (d. 5 AH): A collection of poetry, narrated by Al-Asma'i, Abu Sa'id Abd al-Malik ibn Qurayb ibn Asma' (d. 216 AH), dictated and narrated by Abu Abd Allah Muhammad ibn al-Abbas al-Yazidi (d. 310 AH), edited and annotated by Nasir al-Din al-Asad, Volume (15), Part (2), Journal of the Institute of Arabic Manuscripts, Cairo, Egypt, 1st edition, 1969 CE.

6. The Caller to Heaven: Bilal ibn Rabah, the Prophet's Muezzin, Abbas Mahmoud al-Aqqad, Nahdat Misr for Printing, Publishing and Distribution, Egypt, n.d. (1945 CE).

7. A Journey Through the Horizon: Nasir al-Din al-Asad: Glimpses of His Life and Literature, Mai Muzaffar, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, Lebanon, 1st edition, (1998 CE).

8. Commentary on the Diwan of Labid ibn Rabi'ah al-'Amiri, edited and introduced by Ihsan Abbas, published by the Ministry of Guidance and Information, Kuwait, 1st edition, 1962.

9. Female Singers and Singing in the Pre-Islamic Era, by Nasir al-Din al-Asad, Ministry of Culture, Amman, 4th edition, 2010.

10. Orientalists, by Najib al-'Aqiqi, Dar al-Ma'arif, Egypt, 3rd edition, 1964, vol. 2.

11. Sources of Pre-Islamic Poetry and Their Historical Value, by Nasir al-Din al-Asad, Dar al-Fath, Amman, 9th edition, 2010.

12. Dictionary of Orientalist Names, by Yahya Murad, n.d., Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.

13. Encyclopedia of Orientalists, by Abd al-Rahman Badawi, Dar al-'Ilm lil-Malayin, Beirut, 3rd edition, 1993. 14. Nasser al-Din al-Asad: The Scholar, Thinker, Writer, and Poet, by Ahmad al-Alawneh, Dar al-Qalam, Damascus, Syria, 1st edition, 2004.
Second: The Internet:
15. Biography of Nasser al-Din al-Asad, University of Jordan website and Jordanian Ministry of Culture website, uploaded to the internet.